إنّهم يألمون

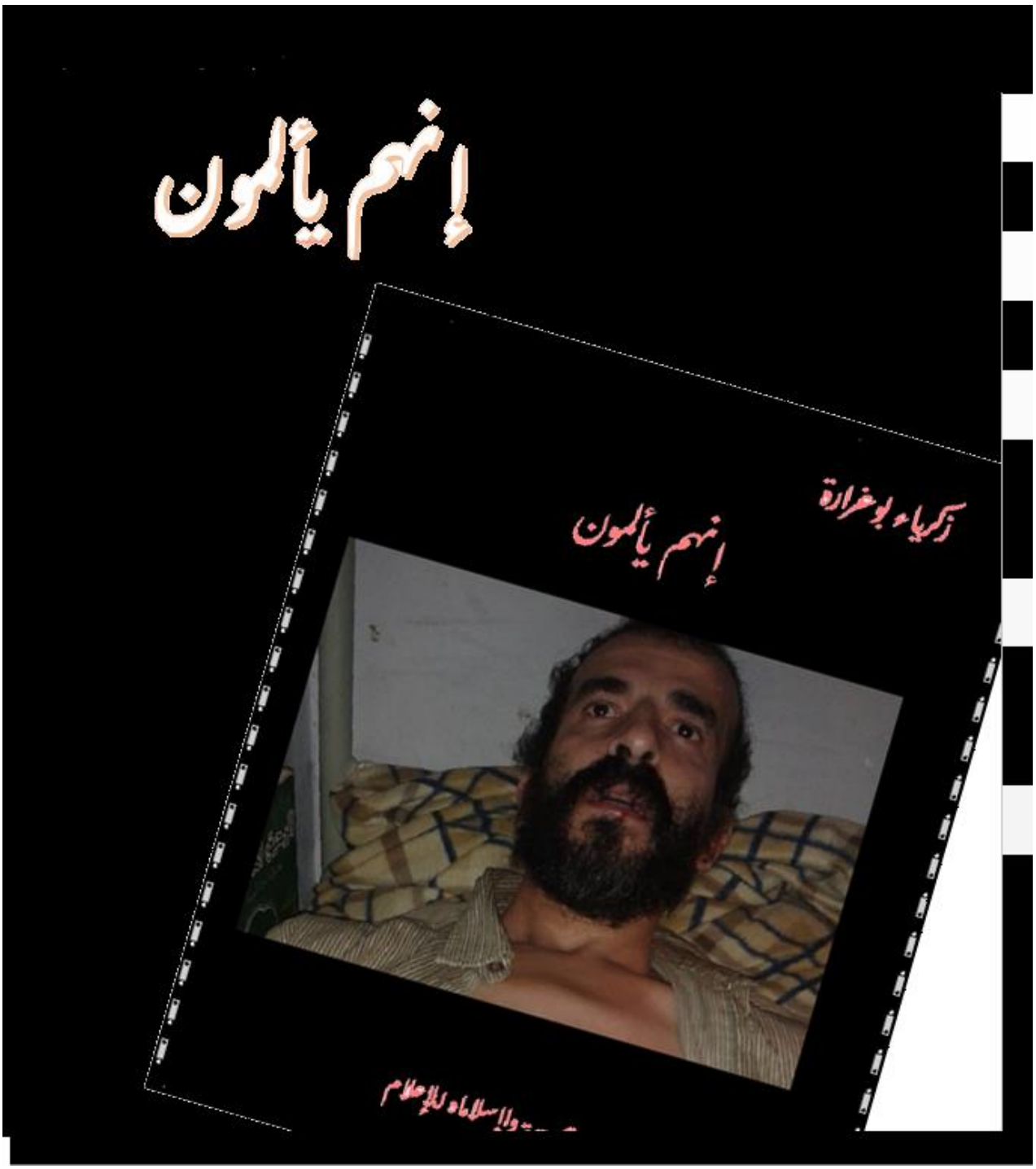

مؤسسة والإسلاماه للإعلام

إنّهم يألمون

إنهم يألمون

إنّهم يألمون

الطبعة الثانية الإلكترونية

سنة 2014م

الكتاب إنهم يألمون

{ وقصص أخرى من أدب السجون }

المؤلف زكرياء بوغرارة

حقوق النشر والطبع محفوظة

إنّهم يألمون

الإهداء

إلى القابضين على الجمر...

في رحلة إلى الله مهما امتدت المسافات

وتوحشت المفازات .. وتعدد الإبتلاءت....

الى الشيخ الأعز محمد النكاوي فك الله أسره

تحية وسلاما وأعزازا وكرامة ونصرة وموالاة

إنّهم يألمون

مقدمة

يجاوز القلم قدره وهو يخط بعض سطور الطهر أقدم بها مجموعتي القصصية الثانية الموسومة ب{{ إنهم يألمون}}.. كتبت من وجع وخرجت من وجع لتنشر وتلقى أطيب الصدى في قلوب من عانقوها بأرواحهم قبل ان تلامس حروفها شغاف قلوبهم... ومنهم الأستاذ عبد الله الطنطاوي الذي ارسل لي رسالة رقيقة .. رائقة عن بعض ارتساماته في مجموعتي الأولى {{ الأكف الممزقة }} عندما نشرها تباعا على منبره الأدبي الجميل {{ رابطة أدباء الشام...}}

انها نبع من فيض ما رأينا هناك بل ما شاهدناه عن كثب ونقلنا نتفا من مآسيه ومعاناته.. ثم بعد خروجي من السجن عقب سنوات مديدة من العتمة لم ألبث إلا قليلا ثم أعتقلت لتكون هاته القصص مادة الاتهام في رحلة معاناة جديدة انتهت بالافراج عني بعد طول اضراب عن الطعام ..

شارفت فيه على الهلاك...

ولأن تلك العتمة كلها ألم فقد كان لغلاف المجموعة صرخة من لون آخر بالصورة الناطقة التي خرجت من العتمة.. ورفرفت في الفضاء الأزرق..

إنّهم يألمون

تميط اللثام عن حقيقة لم تزل غائبة عنّا.. في محنة ثنائية السلطة والمثقف والضحية والجلاد.... والسجن والحرية

انها قصص من ادب السجون كتبت ما بين العام 2003 و2013..

ثم قيض الله لها ان تنبعث حية حرة لتعيش بين الناس و تستقر في وجدانات الأحرار ... لأنها فكرة والفكرة لاتموت.....

لن أزيد ففي ما يألمون كثير من الألم...

أشكر كل المنابر الإعلامية التي نشرتها من منابر لامغرب ولكل منبر احس بنبضات هذا القلم... فجعل لها مكانا لترتقى ...

أهديتها للأخ والشيخ ورفيق المحنة الذي لازال في الأسر محمد النكاوي تحية وسلاما ووفاء وعرفانا ... وهو في عتماته داخل أقبية السجون المغربية....

فهو رمز لمرحلة من الوجع التي لاتزال أصداؤها تتردد... والى زمن بعيد

لا أستهدف من هذا المجموعة سوى وقفة تأمل فيما جرى ...

بحث عن لحظة استشفاء... لأننا لوظللنا نكتم ما بين ضلوعنا لمتنا كمدا وحسرة وأسى ووجعا بل وأوجاعا متعددة لاتعد ولاتحصى .....

إنّهم يألمون

لا ازعم انني وصلت فيها للحظة الشفاء من العتمة كما لا أزعم اني حكيت كل ما بين جوانحي وما هو كامن في صدري ولكنها محاولة للوصول الى الشفاء...رغم ان السجن الأكبر المغموس بوحل من الحرية المنقوصة المعجون بالقهر والعنت والمرض والعجز والحصار وكلها عوامل لاتجعلنا نصل لمرحلة من الشفاء الكامل المأمول...

الألم.. الذي بين الضلوع وعلى المحيا الجلمودي هو ألم كل من كان معنا ومن مرّ من هناك من قبل.....

وددت ان اهديها لكل اخ في العتمة... قبل ان تفرقنا كل العتمات

وجدة في 20 فبراير 2015م

إِنَّهُم يأْلمون

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ
كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا

إنّهم يألمون

إنّهم يألمون

بداية الألم

لشد ما أثارته تقلبات الدنيا في أفراحها وأتراحها وإبتساماتها المشرقة وأحزانها المقلقة, في بياضها الناصع كالثلج وسوادها القاتم كالغراب.. في دموع الفرح والقرح ...

في إقبالها وإدبارها.. وكل حالاتها.. يرى نفسه في مهب ريحها الهوجاء كورقة تعابثها التقلبات في مدها وزجرها وصحوها وكدرها

يتقلب مع صروف الزمن ويتكور كتكور الليل والنهار وتعاقبهما وكلما غرق في بوثقة السواد والتهمته المتاهة يتطلع لبزوغ شعاع من نور يبدد سطوة العتمة.

في محجريه الغائرتين دمعة وعلى شفتيه الذابلتين إبتسامة باهتة كلون الصفرة...

إنّهم يألمون

أول الألم وجع صاحبه في الحل والترحال صبغ حياته بلون الأسى في كل شيء

من زمن بعيد فقد طعم الأمان .. سكن الألم حدقتيه وأطل منهما يحمل صورة قاتمة من البؤس.

ها قد غاذر النوم أجفانه وربما للأبد وحل محله السهاد والقلق الذي يدب في أوصاله كلما حل الغسق ... يحمل حقيبته الافتراضية ويرتحل إلى موسم الهجرة إلى المجهول في الظل والعتمة

العتمة تحتويه إنها كالجمر تكويه من تلك اللحظة التي داهمت بيته خفافيش الظلام لم تترك له فرصة ليلتقط أنفاسه....

بادره الحاج بلكمة على صدغه الأيمن ثم تناوبته الأيدي والأرجل...

هوى الجسد في الأرض,,, تعفر رأسه بالتراب...

ها قد إرتحلت السكينة عن قلبه لتحل محلها ليالي الرماد الملآى بالقلق الحبلى بالكوابيس

إنه يذكر في هزيج الفوضى ومريجها ذلك اليوم....

قال الحاج كابيلا بتهكم قاتل

_ ابتسم أنت في معتقل تمارة ... نحن ميزتنا ان ايادينا طويلة بزاف1

ثم استطرد قائلا كأنه عاصفة مباغتة

إنّهم يألمون

_ هنا دار الحق من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره2

تقدم نحوه خطوات ثم أردف قائلا ونثارات من نتن فمه تتطاير لها رائحة مقيتة...

_ كمارتك3

يظهر لي اني رأيتها هنا من قبل

أنت ممن عمل شرا

هنا ستراه ولو مثقال ذرة

ثم هوى على قفاه بصفعة ثقيلة لها صدى....

يمتعق وجهه من ألم الذكرى وهو يطل من كوة العتمة... تراءى له مشهد من شرخ الصبا إنه يبدو أمامه أبيض اللون صافي الوجه خال من الألم... يا لبياض الفرح الطفولي والبال الخالي والوفاض الخلي من الهموم والشجون...

ظل شاردا للحظات كأنه يشاهد مقطعا من فيلم قديم بالأبيض والأسود

بؤرة الذكريات فيها الاختناق والحصار ومطاردة أخيلة الخيالات الهاربة من فوضى الاسترجاع انها مملوءة بالعقبات والعثرات والوحوش الضارية.. تنتشر في حقولها الأشواك ... رمز الوجع ولونه الدامي ...

أليست الذكرى موجعة في العتمة؟؟؟

إنّهم يألمون

ظل في الليل ينازع هواجس يقظته... هاهي الأيدي القذرة تتلقف الثائرين لتفتك بهم أولا بأول... الموت البطيء قادم في العتمة.. هي تعلم أنها إن لم تفتك بهم اليوم فغدا سيسدون عليها الطريق.. لتنتشر هالة النور العظيمة الهائلة جدا....

هكذا هو في الليل أحلام وكوابيس ومقاومة للجلاد وفي النهار استذكار مرير للحظات الموجعة ...

في العتمة يذكر تفاصيل ذلك الزمن الذي لن يعود يبتسم ابتسامة ألم بلا معنى.. لكنها ابتسامة واثق بالحرية...

تتوالى في العتمة أيام الألم وكأن لحظات الجمر لم يعد لها وجود

أنه ركام وغبار عاصف يمتد سيجيس الليالي ينتفض وينتفض وإلى أبعد مدى...

ليس بميسوره الآن ... إلا أن يرسل تأوهات الحسرة على زمان الوصل الجميل...

يهز رأسه وهو يرقب حراس القهر في جوف الليل

ـ إنهم يألمون

بداية الألم بداية حلم الحرية

الزنزانة رقم "8"

بعد رحلة الشقاء ها هو ذا ثاو في جوف الزنزانة.. إنها قبو كالقبر.. العتمة ترسل شظاياها إنها عالم قاس لايقيني فيها سوى القمع الذي يسري في الهواء..

وتلك البوابة الرمادية يا لها من بوابة ألم تقابله كالمرآة.. كلما إلتفت وقعت عيناه عليها فيشعر بكآبة ممزوجة بالمرارة .. يطل منها السجان الحاج أزريقة وهو يجول بعينيه الزرقاوين بما فيهما من مكر

ثم يقول بصوت كفحيح أفعى

" هانية"

ينتظر بعدها لحظات ثم ينصرف

ها هو ذا أمام البوابة الصامتة ذات العقود السبعة يرقب منها ألمه يرى فيها بؤس المكان وحصار الجرذان... ليس بطوقه الفكاك منها وكيف له ذلك في هذا المعتقل العتيد

إنّهم يألمون

هي ماثلة أمامه كالجبل الأسود آناء الليل وأطراف النهار, بكآبة منظرها وخربشاتها المميزة وأوساخها المتراكمة وأطباق من زمن مضى تثير حفيظته تلك الذهون الزيتية المقيتة التي طليت بها من زمن سحيق حتى كادت تبدو كوجه عجوز شمطاء تزينت فزادتها ادوات الزينة قبحا وترهلا ونفورا...

القبح في المعتقل علامة المكان والعتمة كلها قبح

زنزانته.. عفوا قبره .. عبارة عن منفردة من متر ونصف في العرض ومترين في الطول.. وفي اعلى الجدار المقابل للبوابة العتيقة نافذة كشاهد القبر ضيقة جدا بها ثلاثة قضبان حديدية سميكة كلما امعن النظر فيها احتلت الحسرة مكانة في صدره ووجدانه

الألم يحاصره قد تعود عليه في هذا المكان..

إنه في كل اتجاه كأنه يسري في الهواء.. اينما التفت ذات اليمين وذات الشمال يرى الألم والعتمة....

إنه يألم كما هم يألمون...

يتردد السجان الحاج أزريقة على الزنزانة عشرات المرات تتناوشه الهواجس والشك في جوف الليل ينتقل بين العنابر يتجسس خلف البوابة القاتلة يلقي بأذنه في عمق القبو يسمي هذه العملية "" سربيس الأذن""

إنّهم يألمون

يألم كما يألم ساكنو العتمة

إنها الزنزانة ر قم ""8"" في عنابر العتمة داخل السجن المركزي القنيطرة

وهذا اول يوم لصاحبنا في هذا المكان...

إنّهم يألمون

المعتقل القرد

هنا يثوي.. ليواصل رحلة الشقاء داخل العتمة الباهتة .. أحس كما لو أنه تلقى صفعة حادةعلى قفاه وهو داخل القبو الضيق.. إنه في حجم القبر.. العتمة تلفه كأنما هي كفن أسود يكتم انفاسه

للحظة شعر ان جدارات القهر كأيدي شيطان تمتد بأظافر طويلة لتخنقه

وتلك البوابة الرمادية يا لها من بوابة مقيتة كانما هي فم سمك القرش مفتوح...

يظهر أن اضطرابه في اول الامر ادى إلى إصابته بارتفاع مفاجئ في ضغط الدم..

إنّهم يألمون

اقتحم الجلاوزة المنفردة في جوف ليل غدافي حملوه مقيد اليدين إلى الخلف بعد أن عصبوا عينيه بالخرقة الملعونة

الجلاوزة دائما يحرصون على حرمان ضحاياهم من نعمة النظر كان وجوههم عورة أو عنوان فضيحتهم.. وجوه بائسة بمقت ولعنة من حرم النظر في صفحاتها السوداء كأنما انزاحت عنه الظلمة الحالكة

في جنح الظلام افتادوه كاعمى فقد البصر لتوه...

شعور غريب إعتراه لحظتها شعور خاص لايلم بالنفس إلا في اوقات ناذرة جدا .. وبدا له كأنه فقد كل شيء.. فقد الصوت والصورة ومعالم المكان

لاشيء يجعلنا كبارا كالألم وحده الالم كان يكبر وينمو في وجدانه جريح

صاح الجلاد أبو صيحة بكل ما أوتي من قوة بصوت مكفهر لايخلو من قسوة...

""" هيا أسرع""

احترس .. هنا حفرة تجاوزها ... هيا أقفز.. في الهواء

انتظر هنا ... طأطئ رأسك...

يا لها من قامة إنحني أنحني تنحنج.. تزحزح..."""

إنّهم يألمون

كان أبو صيحة جاف الطبع بعيني بومة جلاد غليظ القلب يهوى على ضحيته بالياط دون رحمة وبأ سواط من الكلمات النابية ...

وراء تلك الأقنعة المزيفة عتمة....

كأنما هي قطعة من الجحيم.

يا لها من سخافة كبرى ومشاهد متكررة ألم اوجاع

تكرر المشهد الدامي في معتقل تمارة السر والمعاريف وفي ظلال العتمة وعنابر الموت..

مجدداتمتد السخافة والترهل الى عتمة الجن المركزي القنيطرة

هكذا تحول من معتقل إلى مجرد قرد يقفز في الهواء يتنطط هنا وهناك بلا معنى...

تلقت الجلاد أصول تربية القرود

"" اقفز.. انحني نط ... اهبط..""

هي حاجة في نف الجلاد قضاها بعد ان حول ضحيته إلى قرد

يرتد صدى زعيق الجلاد وزبانيته مع وقع احذيتهم الغليظة

إنّهم يألمون

"" هنا حفرة .. اقفز .. هنا حفرة اخرى نط .. تعالى من هنا انحني هناك جدار انحني تماما هكذا سوف تمر بينما هو لا ينحني لاينط لا يقفز ولا يفعل شيء سوى الخرية بالمعتقل القرد وهو يسحبه كما يحب الأعمى أإلى عتمة المجهول ...

إنه الوهم .. الوهم الذي أراد الجلاد ان يجرعه لضحاياه .. حسوة قهر وإذلال ولعنة وغصص حرار لاتنقضي وجمرات لاتنطفئ

ها هو يعيش في العتمة منكسر القامة يتنطط هنا وهناك كالقرد الشامبانزي يثوي في قفصه الحديدي...

حلمه الصاعد ينتهي بإنكساره...

يمتص سخافات الجلاد كما يمتص القرد خافات البشر من حوله ودعاباتهم الثقيلة جدا!!

تحول الضحية إلى مجرد قرد دارويني .. قرد اعمى يقفز كل دقيقة في الهواء والفراغ اللامتناهي ثم ينحني وينحني إلى أن يلتصق بالأرض

مرة ليتجاوز حفرة وهمية في مخيال الجلاد وتارة لتيفادى الجدار الصلب الوهمي.. وهكذا دواليك...

يوغل الجلاوزة في السخرية والاستهزاء ويوغل الضحية في الصمت تتجمع نفسه من شتاتها وضياعها لتصبح طاقة هائلة جدا تقاوم وتتحرك وتحرك....

إنّهم يألمون

القهر لعبتهم كم هي لعبة سمجة في منتهى الغباء والترهل إنهم يرقصون رقصة الموت والذي يرقص رقصة الموت يخرج كل ما في جعبته.

استسلم لاوامر الجلاد.. العصيان لايعني له وى المزيد من الألم والحزن ..

ترك العنان لأفكاره كم كان يبكي في أعماقه يشهق شهقات مكتومة يرتجف لها كيانه كله .. إحساس رهيب مؤلم كان يخالط مشاعره تلك اللحظة

في العتمة كان الجلاوزة يرمون حجب وجوههم عن ضحاياهم بحرمانهم من معرفة تفاصيل وجوههم البائسة وتفاصيل المكان السري.. من اجل ذلك كانوا يجلرون ضحاياهم على الفقز في الهواء لتجنب حفرة كاذبة او الانحناء لتفادي جدار وهم... وزيف وخيال

الانحناء والقفز امام المجهول لعبة العتمة لتغيب تفاصيل المكان في الذاكرة

فلايرى الضحية في العتمة إلا تلك العتمة اللامتناهية.

إنّهم يألمون

البصمة

ببطئ تحرك الموكب الجنائزي الصامت .. وأخيرا وصل الجلادون بضحيتهم ليمثل في حضرة الحاج لكبير الذي لا يرى...

رحلة بؤس وشقاء وألم أقسى ما فيها ذلك الألم النفسي الفظيع القاتل

ذاب بين جوانحه كل ماهو صلب تبدد كفقاعات الهواء الزائغة .. لم يعد يعيش في عالم يزوده بالأحلام داخل عتمة السجن المركزي القنيطرة هنا لاشيء سوى الكوابيس ودبابيس الألم

أدخلوه لغرفة سوداء مجهولة ملأى بالدخان المتطاير من السجائر واللفافات الملغومة.. أجلسوه القرفصاء ثم ساد الصمت

في العتمة يصبح الصمت سيدا كالسوط.. إنها لعبة الصمت القاتلة

إنّهم يألمون

توقف تلقائيا عن التفكير.. العتمة علمته في رحلة الشقاء كيف يكون السكون هو البراعة عند احتدام الألم .. في لحظة فارقة حاول أن يتحسس قلبه.. لم يتمكن من الحركة القيود تمنعه من أي حركة.. كان به شوق جارف يدعوه لتلمس قلبه وجس نبضاته ليحثه على السكينة والهدوء قبل أن يتسرب إليه القلق .... هادم اللحظات..

تلك النفحات الهادئة المنسابة إلى الأعماق تهديه وتضيء كالقبس ظلمات العتمة فلا يتعثر وإن تعثر لايجثم في عثرته إنما ينفض عنه الغبار ويمضي لشأوه الى الغاية.. إستغرق في تسابيح شتى أصبح لسانه معها رطبا بذكر الله "" ألا بذكر الله تطمئن القلوب ""

إستشعر تلك اللحظات معاني سامية مع الله.. الله معه في قلبه

بدت أمام عينيه رغم السواد الذي يلفه كخيوط من نور يضيء المكان

بدت الكلمات الذهبية المشعة امامه "" يحبهم ويحبونه""

هكذا خيل له وقتها.. إنه في عالم خارج الحس والمادة..

استرسل في الذكر بلطف ونداوة..

قال الجلادبصوته المعهود

"" بم تهرطق""

إنّهم يألمون

لاشيء... هكذا قال

"" شفتاك لايفتران عن الحركة ماذا تتمتم""

أذكر الله...

"" أسكووت ... يا لخرا ...""

قالها الجلاد وكأن به مسا من الشيطان

ساد الصمت للحظات حينها عصفت به مشاعر شتى هي هزيج مريج من الغضب والحنق حديث نفسي راوده حينها

"" إذا أجبته فرجت عنه .. فلأدعه يموت بكمده ويحترق ""

جمع شتات نفسه ولملم شعته ثم واصل الذكر والسياحة في ملكوت الله البعيد....

ظل فم الجلاد فاغرا في ابتسامة جامدة لاتنطفئ ثم قال بحنق مر

"" اسكووت ,, سد فمك...""

لاتحرك شفتيك...

"" سأذكر ربي في نفسي""

إنّهم يألمون

قالها وكأنما الرجل رمى عن كاهله عبئا ثقيلا قد أرهقه وانتابته هذه اللحظات مشاعر من عدم الإكتراث

"" راسك قاسح.. هنا سنحطمه """1

هكذا أزبد الجلاد وأرغى معه الجلاوزة

عدم الاكتراث هذا هو طريق الخلاص من وعيد الجلاد

تنفس الصعداء وهو يغمغم

"" لاشيء يهم .. الدكاكا أنا فيها ..."2

من زمن بعيد وهو يحمل الهم.. آن له ان يتخفف من الهم والغم والعذاب والأرق وليالي السهاد

كل الدنيا أصغر من جناح باعوضة.. عند الله .. لاشيء يهم فيها الحقراء وحدهم لايفهمون معنى الألم .. الألم الذي يجعلنا كبارا ويعلمنا ان نكون كبارا بقامات باسقة.. إنهم لايدركون معنى الألم المشترك بين الضحية والجلاد.. إننا نألم كما يألمون ..

ألم هنا وألم هناك ولكنه ألم غير الألم .. ألم مختلف

إنّهم يألمون

هكذا شرد لوقت لايدري أطال به أم قصر .. كان يفكر في كل هذه المعاني السامية الجميلة والصمت يلف المكان لحظتها ولج المكتب عدد آخر من الجلاوزة... قال أحدهم بغلظة

"" ستوقع على هذه الورقة .. إنه إلتزام..

إلتزام بالصمت.. ثم ستعود الى القبو """

استرسل في لهجة مراكشية مميزة في نوع من السخرية الرخيصة

"" لا تكلم أحدا في العنابر لاتتحدث مع أي معتقل لا في السياسة ولا الدين ولا الكرموس..3 لاتنصح أحدا .. الخلاصة ممنوع التحريض

ما تدويش مع حد فهمتي.."4"

ثم أردف قائلا بصوت الحيات

"" احنا ماشي في دار غفلووون"5"

ثم إقترب إلى أذنه أحدهم وهو يردد بصوت أشبه بنخامة قذرة

"" يا عزيزي المعتقلون عندنا لايعرفون شيئا عن الإعلام والحقوق والإضراب والأوراق والنضال ...

الاضراب عن الطعام ممنوع الحديث عن الحقوق ممنوع العمل النقابي ممنوع..."

إنّهم يألمون

تناول الوصلة الرخيصة صوت ثالث حاد النبرة

"" الحبس هذا .. ماشي اوطيل ... فهمتي ""

إجتاحته في تلك اللحظة موجة داهمة من الحزن العميق.. لم يعطي لنفسه فرصة للتفكير قال بهدوء كهذا بدت كلماته

"" لن أوقع وكفى ""

إلتف حوله رجال الخوف والفزع"" اصحاب الوقت""6 حتى أصبح داخل دائرة مغلقة

تحطمت كافة محاولاتهم على صخرة الإهمال الباردة والصمت القاتل وعدم الإكتراث.. ثم توثبوا لمحاولة من جديد

"" سوف توقع غصبا عنك رغما عن أنفك""

تدافعت الأيدي القذرة نحوه كانوا يتسابقون كأنهم في حلبة منافسة.. هكذا تناوبته الصفعات والركلات والشتائم.

قساوة اللطمات ترنح لها الجسد المكدود...

قال الجلاد وكأنما إنزاحت عنه ظلمة قاتلة

""كفوا أيديكم .. ""

وأردف بصوت الافعى بسخرية

إنّهم يألمون

"" كفى الله المؤمنين شر القتال."" وجدتها ""

وكأنه يعلن عن لحظة الإنتصار وبنشوة غامرة قال بمكر

"" غادي تبصم..."7"

ثم أضاف بخسة منقطعة النظير

"" البصمة أحسن ""

السجن المركزي القنيطرة

1

عامية مغربية قاسح يعني صلب

2

الدكاكا عامية تعني السجن

3

الكرموس عامية تعني التين

4

لاتتكلم

إنّهم يألمون

5

دار الغفلة

6

اصحاب الوقت هم الزبانية

7

ستبصم

إنّهم يألمون

لحظة وداع طارئة

هز رأسه بوجه حزين وقد أطرق إطراقة عميقة ثم أرسل زفرات موجعة.. قبل أن يهم بالإنصراف..

أمسكت كلتا يديه, فأشاح بوجهه عنها كأنما كان يفر من نظراتها الحائرة..

لحظة فارقة يمر بها

*إنهم ينتظرون....

إنّهم يألمون

حينها شحب وجهها وإمتعق قليلا كأنما كانت تفكر فيما ستسفر عنه الأيام القادمة وهي حبلى بالمفاجآت..

فكرت لحظة... ثم عانقته بحرارة وعيناها تذرفان دموعا سخية ساخنة

أحس بحرارتها .. فابتسم بطريقة عفوية

هنا.. جاء الصوت الخشن الغليظ

* (اسربينا)..1

_ لابأس لاتقلقي ولاتحزني ربما أعود وإن لم أعد...

قبل أن ينهي كلماته وضعت راحة يدها اليمنى فوق شفتيه لتمنعه من الكلام

*ما أصعب الكلام

أقبل الحاج لكبير كأنه دب يتحرك ومن ورائه وجوه الظلام..

سحبوه في صمت.. كان يبتسم بينما هي تغالب دمعها وشهقاتها تصدر من بركان الصدر

وما إن اختفى عن نظرها حتى انسابت دموعها بحرارة موجعة

_ ما أصعب الدموع

في لحظة وداع طارئة ...

إنّهم يألمون

====

1 سربينا كلمة عامية مغربية تعني اسرع

إنّهم يألمون

فحمة الليل

إبتسم إبتسامته التقليدية.. جر رجليه في بطء كسلحفاة عميقة الكهولة

أحس برغبة جارفة في القيء.. دون أن يثيره الغثيان في شيء.. كان كمن فقد شيئا له قيمة في وجدانه

هاقد تبددت البسمة الدونكيشوتية الفارغة تحولت إلى شحوب باهت إمتد طول عضلات وجهه المتغضن..

أرسل دمعتين يتيمتين من جفنيه بينما أهدابه لاتزال مثقلة بمشروع بكاء غزير.. لكنه سرعان ما كفكف دمعه ويديه المبسوطتين بعد أن انهى لحظة خشوع كشفت حجمه الإنساني وأنه لايعدو أن يكون في منتهى الضعف أمام القدر.. ثم إختفى في فحمة الليل

إنّهم يألمون

وحدها صدى كلماته ترددت في المكان

كانت جارحة ملآى بالكلوم والكدمات والشجون العاصفة

"" ما أقوى الألم عندما ينبعث من الصدر بتأوهات مهيضة الجناح ""

""آآآآه""

إزدادت مساحة السواد والعتمة مع هبوب ريح خفيفةإنبعثت من عمق ليالي أيلول الغدافية..

إنّهم يألمون

هنا عتمة

كتبتها في رحلة العتمة الممتدة من سنوات سحيقة

1

تلك الرائحة

ببسمة خبيثة موغلة في المكر قال كابيلاوهو يراقص هدبيه بطريقة مستفزة ... وجسده الضخم يهتز كانما اعتراه مس من الجن ".. ما

إنّهم يألمون

احسن المكان .. هنا انت في بقعة اكثر امنا .. اليس كذلك ..؟؟"

ارسل من فمه نخامةزرقاء تميل للخضرة المقززة ثم دعسها

بحذاءه...

–فندق خمسة نجوم..

نيها نيها ها ها

هكذا كانت قهقهاته الماجنة العابثة .. اوصد البوابة السوداء

للمنفردة..

فانبعثت من جدارات القهر تلك الرائحة...

إنّهم يألمون

قطعة من جماد

2

فجاة لاذ للصمت ذلك الكهف العميق اف‌لكهولة .. صاح كاييلا جلاد المعتقل

السري .. اوالحاج لكبير "بزاف " كما كانوا ينادونه في مربع الفزع..

استشاط غضبا .. وهو يصرخ..

–ماذا دهاك .. هل فقدت القدرة على‌النطق..

لم يعره ضحيته اي اهتمام ظل كجلمود صخر لا يتحرك..

إنّهم يألمون

غمغم كابيلا بصلف...

اسحبوه للقبو .. انه قطعة من جماد

3

الحب الممنوع

كان حنينه للمرأة يبدو من زفراته الحرى .. ابتسم بخبث وقال

لوسجنت

مع زوجتي لتحولت العتمة الى نور يضيئ .. وانفاس تطيب .. لذت

للصمت كعادتيفالمرأة التي احببت ذات يوم تبددت كفقاعات ألهواء

الزائغة .. اصبحت الان بين ذراعي رجل كان ذات يوم صديقي .. تلك

الايام لا ارغب في استذكارها داخل مربع العتمة..

إنّهم يألمون

حاول ان ينكش في الوجع فارسلت زفراتي تتوالى

–يا رفيقي في الظلام انا حاربت وسجنت من اجل فكرة آمنت بها لا لعيون أمرأةاحببتها..

شاركت في الحلم ذلك الحلم الذي يراودني ويناوشني كل ليلى وعندما

يهوي الصنم يكون الحلم قد تحقق ذات فجر صادق .. حينها نهرول لندعسه باقدامنا..

قد دخلت العتمة لأنني كنت احلم بالحرية لا بالحب..

ساد الصمت .. كجدار القهر الذي بيننا

إنّهم يألمون

4

حشرجات واحتضار

سقط عبد الحق .. ارضا لقد خان الجسد صاحبه .. خر مغشيا عليه ولكن روحه الصافية لم تعلن خيانتها ظلت ترفع راية المقاومة .. بدت يده اليمنى ودبق الدماء عليها لوح باصبع السبابة كأنما يعلن عن دنو الرحيل .. وابتسامة ذات معنى ارتسمت على شفتيه .. وتربعت في محياه .. نظراته الواهنة تجول في العتمة ..رويدا رويدا ارتفع صوت الحشرجات الواهنة ... لم يدم الاحتضار طويلا .. ها قد اسلم الروح....

إنّهم يألمون

مضى الغريب غريبا...

صاح كابيلا جلاد المعتقل السري وكبير حجاج الظلام .. كانت شفتاه ترتعشان ...ووجهه يميل للزرقة الداكنة

–لقد مات.. "جاف"

تحلق ألجلاوزةحول الجسد المنكل به ...والصمت سيد المكان

بينما كابيلا يدوس الجثة بحذاءه ..التفت للوراء قليلا.. القى بسيجارة ارضا ثم دعسها. بعصبية

❁❁❁

عندما يصبح الصمت سيدا

الصمت

1

كان يقف كأنه قطعة من جماد ملتصقا بالحائط الأصم الأخرس.. عندما جاء الجلاوزة أدركته صعقة كهربية من داخله اهتز لها جسده بالكلية إنه شعور بالرهبة والخوف غالب نفسه وهو يحاول أن يمنع قطرات من البول سالت على سرواله مع شعور بالغثيان.. أنه لايزال تحت وقع الصدمة, للموت رائحة في

إنّهم يألمون

هذا المكان.. بحركة آلية نزعوا الأصفاد الحديدية من يديه وقدميه بينما الخرقة الملعونة لا زالت تحاصره وتحجب عنه الاشياء وتفاصيل المكان ووجوه الحقراء

تحلقوا حوله في دائرة مغلقة بينما الصمت سيد المكان كان يحس بأنفاسهم المتلاحقة ودخانهم الذي ملأ الغرفة كأنه ثعبان يتجه نحوه وهو واقف في استسلام مطلق.. بعد لحظات صامتة سحبوه كالأعمى الى المجهول

اقترب أحدهم من أذنه رويدا رويدا

وقال بصوت كأنه فحيح الافعى

– ما اسمك؟؟؟

تاه وكأنما السؤال لجة غرق فيها للعميق.. فقد ضاع صوته مع كل الأشياء التي تبددت كالبخار في المعتقل السري تمارة

لايزال يبحث عن صوته بكل مايملك من قوة إدراك ولكن بلاجدوى

عاجله الجلاد بلكمة على صدغه الأيمن

انطق أدووووووووي

بينما دمعة متحجرة في محجريه وزفرات وئيدة مخنوقة في صدره وآهات تعلن إحتراقها....

جدار الصمت

إنّهم يألمون

2

تحسس جدار الصمت كان باردا كالثلج, أنصت للحظات لعله يجد خبرا من وراء هذا الصقيع.. هاهو ذا يلفظ أنفاسه الأخيرة بتصميم هادئ متواصل على اللحاق بالقافلة...

إرتجف وقد علاه الشحوب دموعه وقتذاك كانت مختلطة بعرقه الساخن.. كانت أسرع تدفقا من الدم وهو ينبعث دفاقا من رأسه

معتقل تمارة صوت القهر فينا ينكؤ زمن الجمر يذكرنا قسوة الجلاد كابيلا وهو يعتصر القلوب كموجات البحر الهاذر وهو يثور غضبا ويستقبلنا كالعاصفة

كل الحكاية تلك الليلة اختصرها عبد الحق مول الصباط في الرحيل

لقد رحل وعم الصمت العتمة

إنّهم يألمون

لحظات تحترق

3

يدب الحنين في قلبه دبيب القلق في ليالي الغسق يصبح في لحظة ما ومضة حانية تتوقد في قلبه فتصير جذوة من الإشتياق.. ويهتف شوقا إليها يردد هتافه القديم وهو يناديها يا له من شوق ظل كامنا في حسه كل تلك السنين المقبورة الراحلة

صفحة وجه زوجته ظلت تلاحقه انها تستكن مخياله وهي شاحبة في وجوم بعد ساعات من مداهمة الدار تتحجر الدمعتان اليتيمتان في محجريه وهو يغالب لحظة القهر عندما انتزعوا منها خمارها فبدت لأول مرة سافرة أمام وحوش غرباء

لا زال ذلك اليوم في ذاكرته بعد سنوات العتمة والجمر والرماد

تلتف حول عنقه كل ليلة كأنها ثعبان الأناكوندا الرهيب

إنّهم يألمون

4

دوش أسخون

صدى أجراس بذاكرته تدق بعنف دون توقف,أصغى بعمق لمصدر انبعاثها وأنا له أن يعرف ذلك. ها قد توقفت طاحونة الإستذكار أمام ذلك المشهد الدامي

كان وجهه كفطير محترق بشفاه زنجي وعينين بارزتين وكرش عظيمة.. بينما العرق يتصبب من جسده كأنه فقاقيع ماء مغلي برائحة منتنة كالجيفة

توقف لحظة أمام الجثة الممددة قبالته ثم أرسل من فمه بصقة زرقاء نتن ريحها كان ذلك دأبه دائما مع سائر ضحاياه كأنما هي تحيته المفضلة

وفي حركة جبانة تقدم أكثر إلى الأمام خطوات وبينما أنين الضحية يعلو باغته بماء نتن الريح..كأنما يصبه من إبريق

كان الجلاد كابيلا يبتسم وقتذاك وهو يحاول أن يجفف عرقه بيده الغليظة

أستدار ببطء لقد انتهى من وليمة الالم والدم

شعر بالارتياح وهو يمسك بشيئه ويمعن النظر في الجسد الطريح أرضا

كانت رائحة البول منتنة

إنّهم يألمون

غاذر الجلاد الغرفة السوداء وقهقهاته تتعالى كأنما هي أغنية من قهرنا

_ بصحتك.. دوش أسخون

من الآن فصادعا أنتم بدل المرحاض.. نتبول فوق أجسادكم اليوم ونتغوط... غدا..

_ نيها نيها نيها... ها ها ها

إنّهم يألمون

إن كلماتنا ستبقى ميتة أعراساً من الشموع
لا حراك فيها جامدة . حتى إذا متنا من أجلها
انتفضت حية وعاشت بين الأحياء
كل كلمة عاشت كانت قد اقتاتت قلب إنسان حي
فعاشت بين الأحياء
والأحياء لا يتبنون الأموات